أوهام ومفاهيم مشوّشة في دراسات الترجمة بكلية اللغات

د. خليفة أبوبكر الأسود

تمهيد:

تعد الترجمة من العوامل التي تعين على التعرّف على ثقافات الآخرين، بقصد الإفادة مما هو مناسب منها، و على تعلم لغات الآخر، وتعد ممارسة الترجمة ومدى الإقبال على تعلم لغت الآخرين مؤشران إلى مدى قوة الأمة المتلقية، وقد ظهرت في العقود الأخيرة حاجة ملحة إلى الترجمة وخدمات الترجمة، وازدادت أعداد الاختصاصيين في دراسات الترجمة، وجاءت الحاجة لخدمات الترجمة بسبب التقارب الذي حدث بين الأمم والثقافات وبفعل تعدد وسائل الاتصال وبسبب التطور التكنولوجي الذي يسّر هذا التواصل، وكذلك بفعل تزايد اهتمام المفكرين والعلماء بموضوع الحوار بين الحضارات، والتواصل مع الآخر الذي لابدَّ منه. ولعل أهم دوافع ممارسة الترجمة هو الشعور بالحاجة الماسة إلى الأفكار والمعارف التي تفتقر إليها جماعة من الناس في لغتهم ، فينقلونها من لغة أخرى.

أما تزايد أعداد الاختصاصيين في دراسات الترجمة فقد نتج عن التوسع في ممارسة عملية الترجمة والطلب المتزايد على دراستها والتمرّن على أدائها، ومن ثمّ أدى إلى تأسيس وانتشار أقسام دراسات الترجمة بالجامعات محلياً وإقليميا ودولياً[1]، ومن هنا جاء تأسيس قسم دراسات الترجمة بجامعة طرابلس ضمن هذا السياق. حيث تم افتتاح القسم في الفصل الدراسي خريف 2008م، وبلغ أعداد طلبة الدفعة

1- بلغ عدد المؤسسات الأكاديمية (الجامعات) التي تسيّر برامج دراسات الترجمة – ولديها مواقع الكترونية على الشبكة الدولية – كما ورد في أحد مواقع شبكة المعلومات الدولية – أكثر من مائتي مؤسسة منتشرة في بلدان العالم، راجع الموقع :
www.betranslated.com/translation schools.html .تاريخ الولوج: 11-11-2017م.

الأولى حوالي (45) خمس وأربعون طالب وطالبة. وتنامت أعداد الطلبة المسجلين بالقسم حتى تجاوزت (1000) طالبا وطالبة. إلا أنّ أعداد طلبة القسم صارت تنكمش حتى قارب العدد من مائة (100) طالبا وطالبة.

وفي واقع الأمر، لقد تناقصت أعداد الطلبة والطالبات بكلية اللغات بشكل ملحوظ عقب التعديل الذي حدث في برنامج التعليم الثانوي، حيث تم الغاء نظام الثانويات التخصصية بالسلّم التعليمي في ليبيا وإعادة نظام الثانوية العامة إلى المدارس الثانوية. ولكن في نظري، لم يرتبط تناقص أعداد طلبة وطالبات قسم الترجمة بكلية اللغات بأمر إلغاء الثانويات التخصصية فحسب، بل يرجع إلى السياسة والرؤية التي تبنتها الكلية لغرض تطوير قسم الترجمة بها، وفي تقديري أيضا أن تلك السياسة استندت على أوهام ومفاهيم مشوشة حول دراسات الترجمة يعتنقها بعض الأساتذة بالكلية، إذ يعتقد بعض الأساتذة أن الترجمة نشاط يمكن أن يمارسه كل شخص أو أي شخ ثنائي أو متعدد اللغات، ولا يحتاج من يمارس الترجمة إلى دراستها كتخصص أكاديمي أو فرع من فروع المعرفة. ويعتقد بعض الأساتذة بكلية اللغات أنّ دراسة الترجمة والتدرب على ممارستها غير ممكنة في مرحلة الدراسة الجامعية، ولكن من الممكن دراستها والتدرب على ممارستها بعد اتمام المرحة الجامعية في اللغات لكي يتمكن الطالب من إتقان اللغات المنقول منها وإليها. كما يعتقد فريق ثالث من الأساتذة، أن ممارسة الترجمة ودراستها يجب أن لا تقتصر على معرفة لغتين فحسب، بل لابدّ للدارس والممارس أن يجيد أكثر من لغتين ليصبح مترجم. وثمة من يعتقد أيضا أن إجادة اللغات هو الشرط الأوحد لممارسة الترجمة ولا حاجة للمتدرب على ممارسة الترجمة أن يدرس هذا العلم الاختصاصي الذي صار فرع من فروع المعرفة، وأسرع فروع علم اللغة التطبيقي نمواً وتطوراً.

وأحسب أن ما دفعني إلى كتابة هذه الورقة حول دراسات الترجمة بهذه الكلية هو مناقشة هذه الأوهام والمفاهيم المشوشة. وستتناول هذه الورقة، التعريف

بدراسات الترجمة ومناقشة هذه المفاهيم التي لا زالت مشوّشة في أذهان الكثيرين من أساتذة كلية اللغات، وهي: (1) الفرق بين ممارسة الترجمة ودراسات الترجمة، التي هي فرع مستقل من فروع المعرفة باستقلالها عن علم اللغة. (2) ثنائية اللغة وممارسة الترجمة، و (3) الفرق بين دور الترجمة كوسيلة لتحقيق غاية ودراسة دراسات الترجمة كغاية في حد ذاتها، أي، لتقييم قسم الترجمة، هل نقيّم مخرجات ممارسة الترجمة أم نقيّم دراسة الترجمة كفرع من فروع المعرفة.

أولا: **الفرق بين ممارسة الترجمة ودراسات الترجمة**

من التعاريف السائدة للترجمة أنها عملية نقل نص مكتوب من لغة ما إلى لغة أخرى مع المحافظة على روح النص والجوانب الدلالية فيه. وعلى الرغم من قدم ممارسات النقل من العربية وإليها، يمكننا القول أنّ الترجمة لا تقتصر على كونها مجرد ممارسة لغوية بل تتضمن أيضا وعيا بذاتها ومنجزها، أي دراسة نظرياتها وطرقها ومناهجها ثم دراسة الدور الذي تلعبه في إحداث التواصل والتبادل الثقافيين، وباتت الحاجة ماسة إلى الإسهام في استحضار هذا الوعي الغائب للتفريق بين مصطلحي ممارسة الترجمة ودراسات الترجمة. فالتفكير في اللغة وفي المصطلحات التي أنتجتها ممارسات الترجمة يقودنا إلى استحضار إطار نفكر من خلاله في ممارسات الترجمة كعملية وأداة لإنجاز هدف ما، وفي ماهيتها كفرع من فروع المعرفة. فما هي الترجمة ؟

تفيدنا أدبيات دراسات الترجمة أن ممارسة الترجمة معروفة منذ قديم الزمان، أي، منذ القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي، راجع، (Munday (2001)، و صامويل جونسون (1759) حول تاريخ الترجمة (نقلا عن Baker (1998)، فقد بدأ الحديث عن الترجمة، خارج الإطار العربي الاسلامي، عقب عصر النهضة الأوربية، وكان ذلك على العموم عبارة عن خواطر يومذاك (الديداوي 2002)، إلا أن البدايات الحقيقية لحركة انتقال العلوم من الحضارات الأخرى إلى العالم الإسلامي ترجع إلى شخصين هما: الحارث بن

كلده، ثمّ اخالد بن يزيد بن معاوية (ت85هـ – 704م)، الذي بعد أن يئس من الفور بالخلافة أنقلب إلى دراسة العلوم، فدرس الصيغة (الكيمياء)، ثمّ أمر بنقل كتب الصيغة إلى العربية[2i]، ولم تبذل محاولات منهجية لدراسة عملية الترجمة وتبيان أصولها وقواعدها حتى منتصف القرن العشرين. ومن أجل تشخيص هذه الممارسات، لنبدأ بهذه التعريفات الثلاثة لمفهوم الترجمة:

الترجمة كما يعرّفها النملة[3]، نقلا عن الديداوي[4]، "هي إيصال فكرة أو تبليغها، أو تحويل التبليغ إلى لغة أخرى وإعطاؤه شكلا مكتوبا، أو مسموعا، أو وضع صيغة مطابقة لصيغة (اللغة المصدر) في لغة النقل"، وقد أشرت أعلاه إلى أن التعريف السائد للترجمة هي النقل من لغة إلى أخرى، وأضيف هنا أن عملية النقل بين اللغات عادة ما تكون ذات اتجاهين، أي من لغة ما إلى لغة أخرى، والعكس.

وأفاد الباحث يوسف حسين بكّار[5] أن الترجمة "فن وعلم في آن – ووسيلة من وسائل الاتصال بين الأفراد والشعوب والأمم في ضروب المعرفة كافة، ووسيط حضاري ومعرفي لا مندوحة عنه" ، ويضيف أن للعرب إسهاماتهم المهمة الفاعلة في الترجمة من العربية وإليها، كما أن لغيرهم إسهاماته في الاتجاهين معاً، بقطع النظر عن ما يترجم وكيفية الترجمة وحقيقتها.

ومن بين تعاريف الترجمة ما صاغه محمد مواعدة[6] "أنها تتمثل في نقل خطاب من اللغة الباثّة إلى اللغة المتقبلة، والتعبير عنه بالمعادل الأكثر ملاءمة، وذلك في مستوى المعنى أولاً، ثم في مستوى الأسلوب". ويقتضي هذا التعريف اختيار المترجم للجمل والتراكيب التي تتقارب فيها اللغتان، لأن نقل أسلوب النص بأمانة،

2– راجع ماهر عبدالقادر محمد "حنين ابن اسحاق – العصر الذهبي للنهضة".

2– أنظر علي بن ابراهيم النملة "مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين".

4– أنظر محمد الديداوي "الترجمة إلى العربية". اللسان العربي ، العدد (25) ص. 55–75.

5– أنظر يوسف حسين بكّار "الترجمة الأدبية".

6– راجع محمد مواعدة "حركة الترجمة في تونس" ، ص. 368.

يتطلب من المترجم أن يدخل في اللغة المنقول إليها بعض الجوانب المتعلقة باللغة المنقول منها. ولعلّ هذه الظاهرة هي التي تجعل المرء يلاحظ الفرق في الأسلوب والبنية والتراكيب بين نص مترجم إلى لغة من لغة ما، ونص مكتوب باللغة نفسها بالنسبة إلى الكاتب نفسه.

وباستعراض هذه التعريفات، يمكننا القول أنّ الترجمة عملية لغوية تحدث بين الشعوب الناطقة بألسنة متباينة، بشكل مباشراً كما في الحروب والهجرات والتجارة والاستعمار ونشر العقائد والديانات وغيرها، وهي أيضاً نشاط فكري غير مباشر يتم من خلال وسائل الاعلام ومن خلال نقل المعارف وتأصيلها وتيسير هجرة الأفكار والمناهج والأساليب الحضارية إلى المجتمع المتلقي. ولو أمعنّا النظر في التعريفات السالفة الذكر، لوجدنا أنها لم تتطرق إلى الجوانب الأساسية لتأسيس علم مستقل أو فرع معرفي يقوم على نظريات ومناهج ومبادئ تميزه عن غيره من فروع المعرفة.

واستمرت ممارسات الترجمة دون فصلها عن الدراسات اللغوية، بل كانت توصف بأنها وسيلة من وسائل تعليم اللغات، إلى الثلاثينات من القرن العشرين، وكانت الكتابات حول الترجمة أميل إلى الأدب منها إلى العلم. وثمة صلة متينة بين ممارسات الترجمة وعمليتي التعليم والثقافة والاصلاح، فالترجمة تعتمد أساساً على التعليم باعتبارها تنتج عن تعلم اللغات، كما تنتمي الترجمة عموما إلى الاطار الثقافي، لأنها وثيقة الصلة بالحياة الفكرية للشعوب. ومن ناحية أخرى تنتمي ممارسات الترجمة إلى الاصلاح لأن رجال الاصلاح يدعون إلى القيام بالترجمة ويحثّون عليها في مواطن مختلفة من مؤلفاتهم، راجع، مواعدة (1986). ومن أجل التركيز على موضوع هذه الورقة، لا يمكننا في هذه الفقرة التوسع في الصلات التي تربط ممارسات الترجمة بالتعليم والثقافة والاصلاح والبحث العلمي والتطوير، ولكنني أود إيضاح أن ممارسات الترجمة عملية قديمة، غالبا ما كان القصد منها خلق نتاج لغوي قد يكون فكرياً أو علمياً أو فلسفياً يمكن توظيفه في

مجالات التعليم والثقافة والاصلاح والبحث العلمي والتطوير الاجتماعي وهلم جرا. وهذا مما جعل الكثيرين ممن يتناولون مفهوم الترجمة ينظرون إلى الترجمة في حدود هذا الاطار، وفي نظرهم، إذا لم تتحقق هذه المقاصد أو أي منها فكل ما يُفعل أو يقال في الترجمة ليس منها في شيء.

أما عن دراسات الترجمة فيمكننا وصفها بأنها فرع معرفي متعدد التخصصات، بدأ في التبلور منذ خمسينات القرن العشرين .ومن أهم ما كُتب عنها في الخمسينات الدراسة الأسلوبية المقارنة للإنجليزية والفرنسية التي قام بها جون بول فيني و جون داربلني (1958)، وكذلك دراسة رومان جاكوبسون (1959) التي تطرق فيها للجوانب اللغوية للترجمة، والتي صارت مدخل بنى عليه من جاء بعده وتوسع فيه. ومن أبرز ما كتب حول الترجمة في الستينات والسبعينات كتابي كاتفورد (1965) ويوجين نايدا (1969)، و يعكس الأخير تجربة الكاتب في نقل الكتاب المقدس والصعوبات التي واجهها في ترجمته إلى لغات الشعوب التي يسعى لتنصيرها، فأستخرج من تلك التجربة مبادئ حول التطابق والاختلاف بين الأصل والترجمة. بينما يعالج كتاب ج. س. كاتفورد الموسوم "نظرية لغوية في الترجمة" عملية النقل على مستويين: التكافؤ النصي والتناظر الرسمي (علاقات رسمية بين الوحدات اللغوية) والمعنى أو الترجمة الكاملة (علاقات سياقية).

وفي بداية السبعينات، قام جيمس هولمز (1972) بالتأكيد على استقلالية دراسات الترجمة كأحد فزوع المعرفة من خلال الورقة البحثية الموسومة "دراسات الترجمة: الاسم والماهية"، التي تعد هي الدراسة المُؤسِسَة لدراسات الترجمة كأحد فروع المعرفة. وقد رسم هولمز الاطار والحدود النظرية والتطبيقية لهذا الفرع المعرفي الجديد وأسماه (دراسات الترجمة). ثم تواتر تطوير هذا المجال، ففي الثمانينات من القرن العشرين، أهتم هانس فيرمير (1986/1978) بالترجمة الاستهدافية، بناء على الغرض من الترجمة والهدف منها، وتناولت ميري سنيل–

هورنبي (1988) الجانب التكاملي في دراسات الترجمة، مؤكدة على أن الترجمة علم جامع للعلوم وفرع جامع للفروع.

ثم تطورت دراسات الترجمة من كونها جزء في أنظمة معرفية متعددة (علم اللغة المقارن والدراسات الأدبية المقارنة والدراسات الثقافية) إلى أن صارت وأصبحت دراسات الترجمة أحد فروع علم اللغة التطبيقي، (رغم تلكأ بعض الأكاديميين في القبول بها كعلم مستقل يحظى بالمساواة بفروع المعرفة المعتمدة). ولعل هذا ما دعا إلى ظهور دعوات في السنوات الأخيرة إلى إنشاء روابط عبر فروع المعرفة. إذ تكسر هذه الروابط الحدود وتعكس التبادل السريع للمعلومات بين فروع المعرفة في مجتمعات تتسم بالكونية وتراكم المعارف. وتعد دراسات الترجمة أحد الأمثلة الحيوية للعلوم الناشئة التي تجمع تخصصات من أفق واسع من الدراسات اللغوية والثقافية. حيث يطور مناهج بحثية يكيفها لأغراضه الخاصة. وهو أحد العلوم اللغوية التطبيقية المشتقة من الدراسات اللغوية مثل: تعليم اللغات واكتسابها ورسم السياسات اللغوية وعلم المصطلح وعلم المعاجم وعلم الاتصالات والمعلومات، ودراسات التوثيق والمدونات.

وباستقلال هذا الفرع المعرفي عن علوم اللغة وصيرورته ميدان تخصصي يهتم المتخصصون فيه بإيضاح ملامحه وحدوده ومناهجه ونظرياته، فضلا عن إعداد وتدريب الراغبين في التخصص فيه وفي تعلّمه، مما جعله يكتسب دلالات تختلف عن مفهوم الترجمة كممارسة عملية محدودة الأهداف. ومن ثمّ، فإن اعداد المترجم لا يقتصر على تمكينه لغويا بل اعداده في ميادين المعرفة المختلفة ذات العلاقة بدراسات الترجمة كفرع بحثي متخصص من فروع المعرفة. وصار هذا الفرع المعرفي يدرّس في الجامعات والمؤسسات التعليمية والتدريبية المعدّة لها الغرض، وصار له مناهجه الخاصة به ونظرياته المستوحاة من الفروع المعرفية ذات الصلة به مثل فروع علم اللغة والدراسات الثقافية الأنثروبولوجية والعلوم

التكنولوجية الحديثة وعلم الحواسيب الإلكترونية والمعارف العامة الدينية والتاريخية والسياسية والجغرافية التي يحتاجها المترجم .

لقد حاولت في هذه الفقرة أن أناقش مفاهيم ممارسة الترجمة ودراساتها، وتعد هذه المفاهيم من البديهيات التي لا تحتاج إلى شرح أو إيضاح في أماكن كثيرة من السياقات الأكاديمية، إلا أنني أحسست من خلال تحاوري مع بعض الأساتذة الزملاء في كلية اللغات أن هذه المسلمات تحتاج إلى شرح وإيضاح وهي مفاهيم مازالت مشوّشة وغير واضحة في أذهان الكثيرين، مما دفعني إلي الخوض في هذا الموضوع ساعيا إلى تقليل أثر هذا الخلط واللبس في التمييز بين ماهية الترجمة باعتبارها ممارسة مهنية غرضية، ومفهوم دراسات الترجمة الفرع المعرفي الجديد.

2 – ثنائية أو تعددية اللغات وممارسة الترجمة:

يستعمل المصطلح ثنائية اللغة على الحالة التي تعكس وجود أفراد أو جماعات قادرة، وقلّما تكون مجتمعات بكاملها، على التحدث باستعمال لغتين لتسيير أمور الحياة اليومية، ولا يشير هذا التصوير للثنائية اللغوية إلى العلاقة التي يمكن ان تكون بين لهجتين أو مستويين للغة الواحدة ولا يعكسها، كما أنه لا يتطرق إلى مستوى الكفاءة في استعمال اللغتين المعنيتين اللتان يجعلان المرء ثنائي اللغة.

ومن الملاحظ دائما وجود أفراد أو مجموعات من الأفراد القادرين على استعمال لغتين بدرجة كفاءة عالية، إلا أنّ هذه الحالة هي الاستثناء وليست القاعدة، لأن الغالبية العظمى من ثنائي اللغة لا يتمتعون بدرجة كفاءة متساوية في اللغتين المستعملتين، بل يكون المرء أكثر كفاءة في إحدى اللغتين من الأخرى. كما يلاحظ أيضا أنه ثمة تداخل، على مستويات الصوت والكلمة والتركيب، في استعمال اللغتين. ومن الجذير بالذكر، أن عدد من ثنائي اللغة لم ينجحوا في احراز درجة من الطلاقة في استعمال اللغتين بالمستوى الذي يحققه

أحادي اللغة، ولكن نجح بعضهم في تحقيق درجة الكفاءة التي يتمتع بها أحادي اللغة في اللغة السائدة الديه، راجع دايفد كرستل: (1987)Cerstal.

اما مطلح الترجمة فيستعمل ليصف عملية نقل المعنى من لغة ما (اللغة المصدر) إلى لغة أخرى (اللغة الهدف). وهي عملية شديدة التعقيد لأنها لا تقتصر على التعامل مع المفردات والتراكيب اللغوية في اللغة المصدر فحسب، بل تتطلب معرفة دقيقة بالموضوع المعرفي الذي تعالجه اللغة المصدر، وكذلك المعنى الضمني للمتلازمات الثقافية والاجتماعية أو العاطفية التي ينبغي نقلها إلى اللغة الهدف لجعل الترجمة متكافئة مع اللغة المصدر. كما ينبغي أن تتوفر الدراية نفسها باللغة الهدف لكي يتمكن المترجم من صياغة التعابير الاصطلاحية المعاصرة والتابوهات في اللغة الهدف لجعل النص المنقول يبدو كأنه تم إنشاؤه في باللغة ذاتها. وعقب ترسيم دراسات الترجمة، وصارت فرع جديد من فروع المعرفة يختص بدراسات الترجمة النظرية والوصفية والتطبيقية، وهو فرع معرفي متعدد التخصصات يشمل: اللغات، وعلوم اللغة، والأنثروبولوجيا، ودراسة نظريات الاتصالات، وعلم اللغة النفسي، ونظرية الأدب، ونظريات المعاني السياقية (التأويل التداولي) والدراسات الثقافية.

وقد أشار أكرم مؤمن في مقدمة كتابه الموسوم "فن الترجمة"[7] (2004) إلى أهمية تسلّح المترجم بالأدوات التي تعينه على أداء عمله، فضلا عن اجادته للغتين المصدر والهدف، وهذا ما كتبه: "لمست في السنوات الأخيرة ما يعج به مجال الترجمة من فوضى أختلط فيها الحابل بالنابل ! حتى أني استقبلت في مكتبي ما يزيد عن مائة مترجم ، وكان أغلبهم يحملون مؤهلات لا علاقة لها باللغات ولا بالترجمة في شيء، بل أن بعضهم تحدّث عن نفسه قائلا "طول

7– أكرم مؤمن "فن الترجمة" ص. 6.

عمري شاطر ف الإنجليزي" وكان يعتبر ذلك مؤهلا كافيا للعمل بحقل الترجمة !!".

أضف إلى هذا أن اللغة كالكائن الحي دائمة التطوّر والتغيّر، بالمفردات والتراكيب الجديدة التي تدخل إليها في كل يوم والمفردات والتراكيب المماتة التي يتم إرجاعها إلى دائرة الاستعمال. وكذلك تضاعف التسارع في التطور العلمي والتكنولوجي ووسائل التواصل في تعقيد عمل المترجم، حيث أدت سهولة الاتصال بين الثقافات والمجتمعات المختلفة إلى ظهور أفكار وتجارب مركّبة مما يثقل مهمة المترجم بما يجري من حوله من ابداعات وتلاقح أفكار، وتداخل في العادات والتقاليد والثقافات والحرف والهوايات[8].

ومن بين الدراسات اللغوية ذات العلاقة بالترجمة وفهم معاني النصوص ما يعرف بالاستعمال اللغوي (التأويل التداولي). ويعد التأويل التداولي أو ال– "فاعلية ذهنية" هو ما يحتاج إليها المترجم في نقل النصوص والتفاعل مع معانيها، فأوضاع الخطاب وقصديته وأفعال الكلام وأغراضه، تتطلب في ترجمتها من استعمال التأويل التداولي من أجل فهم البنية الضمنية أو المسكوت عنها في الخطاب، وهذا يفرض على المترجم أن يكون مُلِماً بالتأويلات التداولية[9] Pragmatic Translation. ومن الجذير بالذكر في هذا السياق، أن تعريف الترجمة أخد منحى جديد يتعلق بالمعنى، إذ أهتم عدد من المختصين في دراسات الترجمة بالتركيز على القصد التواصلي في الجمل المكتوبة والملفوظة، أكثر من التركيز على المعاني المعجمية في الجمل اللسانية. وبناء على هذا، فالتأويل هو أساس الترجمة، أي أنّ الترجمة فعلا تأويلياً تهتم بقصد المتكلم وخصوصية كلامه، ومن ثمّ فالترجمة ليست نقل للنص المكتوب أو الملفوظ، بل هي نقل

8– المرجع السابق.

9– أنظر أحمد كروم "الترجمة والتأويل التداولي" ص. 199.

لمقاصد النص والغاية منه. وهذا ما لا يتوفر لدى ثنائي أو متعدد اللغات، إلا أن يخوض فيما تتناوله دراسات الترجمة.

ولمقارنة عمل المترجم بما يمكن أن يقوم به ثنائي اللغة يمكننا التعرّف على بعض الخصائص والصفات التي ينبغي على المترجم أن يتحلى بها.

أ. فضلا عن إجادة اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، أن يتمتع المترجم بالقدرة على تأويل المعنى الضمني في الاستعمال المكتوب والمنطوق والملاءمة بينهما.

ب. يحتاج المترجم إلى الإلمام التام بالمصطلحات التخصصية في الموضوعات التي يترجمها، حيث أن الكثير من الموضوعات تحتاج إلى معرفة بالتخصص على مستوى البحوث العلمية والمشاريع الأكاديمية المختلفة.

ج. أن يكون المترجم على إلمام بالوسائل التي توفرها التخصصات المتممة لدراسات الترجمة مثل العلوم الاجتماعية والنفسية والأسلوبية الأدوات الإلكترونية والتكنولوجية المتاحة.

د. أن يكون المترجم واسع الاطلاع، ذو ثقافة عالية، ومتابعا للأحداث الجارية وملم بما يستجد من تعابير ومفردات جديدة يتم ابتداعها وتدخل اللغتين اللائي يعمل بهما.

هـ. أن يتحلى المترجم بالأمانة التامة في نقل الأفكار والمعاني والصبر والتأني في أداء العمل وحسن استخدام المعاجم والموسوعات.

و. يحتاج واقع التعريب في الوطن العربي إلى مهارة المراجعة التي تتوقف على التقييس والمعايرة اللذان يؤهلان اللغة وخصوصيتها الثقافية على الاقتراب من الواقع العالمي ومستجداته المترابطة ببعضها.

ومما تقدم، يظهر الفرق واضح بين ما يمكن أن يدركه الثنائي أو متعدد اللغات وما يحتاج المترجم أن يدركه، حيث أن المترجم لا يحتاج إلى إجادة اللغات التي

يستخدمها فحسب، بل يلزمه معرفة التخصصات المتعددة التي تقوم عليها دراسات الترجمة.

3 – التفريق بين وظيفة الترجمة وماهيتها كأحد فروع المعرفة

الترجمة فاعلية ذهنية مارسها الانسان على مر العصور، وبفضلها تبادلوا المعارف فيما بينهم، وتعرّف بعضهم على البعض الآخر، وشمل هذا النشاط الذهني العلوم والآداب بكافة أشكالها، إلا أن الذين يمارسون هذا النشاط لم يفكروا في ماهيته إلا نادرا، وإلى عهد قريب. ولكن شهد القرن العشرون، على وجه التحديد، اتجه المترجمون والتراجمة[10] نحو "تنظير" عملية الترجمة، وإرسائها على أسس وقواعد علمية تعين المترجم على أداء مهمته، ومن ثمّ، ظهر ما يعرف بنظرية الترجمة ومناهج الترجمة، بل أصبحت الترجمة مادة تدرّس في المعاهد والجامعات ويتخذ منها الدارسون مادة لدراساتهم وابحاثهم التي ينالون عليها الدرجات العلمية، وهكذا تحوّل فن الترجمة إلى علم الترجمة[11]، وهو ما نسميه اليوم "دراسات الترجمة" .

ومن ثمّ، نحتاج في هذا السياق إلى أن نميّز، فيما يتعلق بمفهوم دراسات الترجمة، بين نهجين مختلفين وفي الوقت نفسه يمكن أن يكونا مترابطين يكمّل أحدهما الآخر. النهج الأول تمثله حشود من الممارسين تكالبت على ممارسة الترجمة وأدائها، وصارت تخوض فيها إنتاجاً ونشراً، ولكنها لم تكلف نفسها عناء دراسة وفهم آليات وتقنيات ما تخوض فيه واستبيان دروبه ومسالكه الوعرة، أمّا النهج الثاني فتمثله حشود من الدارسين أتجهوا إلى تبيان وتجلية خبايا ما يخوض

---

10 – لقد شاع استعمال هذا المصطلح مؤخراً في بلدان المغرب العربي ، وعلى الأخص في تونس" للدلالة على مترجمي المؤتمرات أو المترجمين الفوريين والتتابعيين للكلمة المنطوقة، تمييزا لهم عن المترجم التحريري الذي يقوم على نقل النصوص التحريرية.

11 – أنظر سامية أسعد "ترجمة النص الأدبي" ص. 88.

فيه المترجمون لإنارة دروبه ومسالكه لأولئك الممارسين، وإرشادهم إلى توظيف نظرية الترجمة ومناهجها لتعينهم على الخوض فيها.

وعلى الرغم من الحركات الترجمية التي قامت في الوطن العربي في فترات زمنية مختلفة (زمن الأمويين والعباسيين، وزمن محمد على في مصر وفي العصر الحديث)، إلا أنّ هذه الحركات لم تساندها حركة تنظير للترجمة واضحة المعالم، وبقيت عملية التنظير الترجمي غائبة إلا من بعض ملاحظات المترجمين أنفسهم على ممارساتهم، وبعض الأفكار المتناثرة التي وضعها بعض كبار الأدباء العرب مثل الجاحظ والفرابي والصفدي وحنين ابن اسحاق وغيرهم، أنظر (حزل 2006)[12].

1.3- دور الترجمة الوظيفي في نهضة الأمم والشعوب

عرف العالم الترجمة في الماضي وعلى مر العصور أنها وسيلة لتحقيق غاية، أي أنها أداة تستعمل لنقل المعارف والخبرات ولتحقيق التوال والثقافي وأيضا لتعلم لغة أجنبية، وتشهد ممارسة الترجمة في العصر الحديث ازدهاراً كبير في مختلف المجالات العلمية والتقنية والأدبية والاقتصادية والسياسية ..... ، ويعكس هذا النمو السريع حاجة الشعوب إلى التواصل وتناقل المعارف والمعلومات، وتكشف هذه الحالة بوضوح أكثر من أي وقت مضى عن الطبيعة التواصلية لممارسة الترجمة ودورها في تعزيز احتكاك الثقافات، وخاصة بعد تطور وسائل التواصل وأخص منها الإعلام.

وثمة بعد آخر مهم، تلتقي فيه جهود نتاج الترجمة ويمثل الهدف الذي تصبو إليه هذه الجهود كافة، وهو التواصل الحضاري. وهذا ما يبرر محاولة المبدعين والمفكرين والبحاث الاستفادة مما يبدله المترجمين من جهود لتحقيق التواصل الحضاري. فقد يستفيد الدارسون العرب والمعلمون من ترجمة كتاب تعليمي ناجح

12- راجع عبدالرحمن حزل "الترجميات العربية ....." ص. 7.

وضعه الأوروبيون في مجال معرفي ما، مثل كتاب جرمي موناي (2001) "التعريف بدراسات الترجمة: النظرية والتطبيق" أو كتاب علمي مرجعي مثل "أصول الهندسة" لأقليدس، وكثيرا ما كانت، في الماضي، جهود العلماء والمبدعين العرب في ميادين معرفية مختلفة صالحة بفعل الترجمة لاستخدامها على نطاق واسع في بلاد الغرب، مثل "المقدمة" للعلامة ابن خلدون، الذي أحتفي به العالم أجمع احتفاء شديداً، ويعد رمز الحضارة العربية الاسلامية إلى يومنا هذا.

وفضلا عن هذا، فإن معرفة ثقافة الشعوب الاسلامية المعاصرة، وعلى الأخص ثقافة العرب، هدف مشترك بين الأمريكيين والأوربيين على مختلف لغاتهم وثقافتهم، ويعود ذلك إلى كون المنطقة العربية الاسلامية سوق استهلاكي على صعيد التجارة المدنية والعسكرية، ومصدر هائل للنفط، يعد قريبا جغرافيا من أوروبا الغربية. ولا يمكن لهذه المعرفة للثقافة العربية الاسلامية أن تتم دون استغلال الترجمة وسيلة وادة لهذا الغرض. وفي المقابل لا يفوتنا أن نذكر ماذا تستفيد الدول العربية الاسلامية من استيعاب الموفدين العرب المسلمين للثقافة الغربية ونقل هذه الثقافة بفعل الترجمة عقب عودتهم إلى مجتمعاتهم لممارسة التعليم والبحث العلمي.

ومن بين الأهداف التي يمكن تحقيقها باستغلال الترجمة أداة للتواصل الثقافي، تضييق الهوة بين الذات والآخر، فكلما عرف الطرفان أحدهما الآخر صارا في معزل عن أسباب سوء الفهم، فعلى سبيل المثال، من بين أسباب الخلافات القائمة بين العرب المسلمين في الشرق والغرب ممثلا في أوروبا وأميركا هو ضعف معرفة الأوربيين باللغة العربية وبالتالي ضعف التواصل وضعف جهود الترجمة، الأمر الذي يترتب عليه مزيدا من العنف والقتال بين الطرفين نتيجة نقص استخدام الترجمة أداة للتواصل. وكذلك كان جهل الأوربيين باللغة في العور

الوسطى هو الذى منع عنهم الاتصال المباشر بالرسالة القرآنية[13]، فوصلتهم مشوهة من خلال القساوسة الذين كانوا يمزجون بين كرههم للإسلام والمعلومة المنقولة عن العربية. ومن هنا يتضح الدور الذي يمكن أن تلعبه الترجمة باستخدامها أداة للتواصل وتضييق الهوة بين الثقافات، إذا أحُسِن استغلالها.

ويعد هذا قليل من كثير، مما يمكن أن تحققه الترجمة عندما يتم استغلالها وظيفيا، ونجد هذا الدور منعكسا في مفاهيم بعض الأساتذة لما يعنيه مصطلح الترجمة وما يدل عليه، بل أنهم يقصرون مدلول هذا المصطلح على هذه الوظيفة التي تؤديها ممارسة الترجمة دون النظر إلى طبيعة الترجمة وماهيتها كعملية ذهنية تأويلية تحكمها ضوابط ونظريات ومناهج. وإذا لم يتوفر هذا الأمر، فدراسات الترجمة ليست من الترجمة في شيء. ولي أن أقول، أن الترجمة صارت اليوم فرع معرفي مستقل بنظرياته ومناهجه وآلياته عن دراسة اللغات، رغم توظيفه له من حيث المبدأ. أما القول أن الترجمة لا تزيد عن كونها عملية وظيفية فحسب ووسيلة لتحقيق غاية فهو مفهوم مشوّش ومردود على قائله. وأن عملية التدرّب على ممارسة الترجمة وإعداد المترجمين والتراجمة فهو جزء لا يتجزأ من الدراسات التطبيقية للترجمة.

2.3- التدريب على الترجمة واعداد المترجمين والتراجمة

إذا نظرنا إلى تدريب المترجمين والتراجمة في السابق فإننا نجده لم يتجاوز حلقات تدريب غير منظّمة يتم تسييرها بإشراف أحد الاحترافيين في مهنة الترجمة، رغم صعوبة الحديث عن وجود احترافيين متخصصين في هذه المهنة قديما، وكان التدريب على ممارسة الترجمة يتم بطريقة المحاولة والخطأ، أو بإحدى طرق التدرب على الترجمة التي تحدث عند تعلّم لغة أجنبية.

13- أنظر ،اسماعيل أحمد عمارة "الاستشراق واللغة".

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية، وفي النصف الثاني من القرن العشرين تحديدا، تم تأسيس مؤسسات في أوروبا الغربية، في جنيف وفيينا وموسكو، في اطار الجامعات، وكانت دراسة الترجمة مدمجة تحت مضلة أقسام أو مراكز تعليم اللغات الأجنبية[14].

وهكذا بدأت عملية التدريب على ممارسة الترجمة بهيئتها الحرفية، إلا أن هذه الصورة سريعا ما تغيّرت واتجهت نحو المسار الأكاديمي، فقد أزاحت سلسلة من الاصلاحات في البرامج التعليمية في العديد من الدول الأوربية في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي عدد من العوائق التي كانت تفصل بين نظام التعليم الحرفي والتعليم الأكاديمي في المجالات كافة، وتم ادماج بعض المراكز الفنية للتدريب المهني في برامج الجامعات الوطنية، ومن ثم انتقلت برامج تدريب واعداد المترجمين والتراجمة من التدريب الحرفي المحض إلى البرامج الأكاديمية[15].

وترتب على هذا الدمج نتائج بالغة الأثر على عملية اعداد المترجمين والتراجمة، وازدادت المؤسسات الأكاديمية التي تقدّم برامج تعليمية تقود الطالب إلى الحصول على شهادة عليا (ماجستير أو دكتوراه) في دراسات الترجمة[16]، فضلا عن شهادة الليسانس، وجاء هذا بدوره نتيجة للطلب المتزايد على خدمات المترجمين والتراجمة. ونظرا لأن هذا التغيير قد جاء من داخل المؤسسات الأكاديمية الجامعية وليس من طرف مراكز التدريب الحرفي لإعداد المترجمين، فإن جلّ برامج اعداد المترجمين والتراجمة التي تأسست في تسعينيات القرن

14- أنظر. منى بيكر ، "موسوعة دراسات الترجمة" (بالإنجليزية) Muna Baker "Encyclopedia of Translation Studies"

15- المرجع السابق.

16- أنظر الموقع اعلى شبكة المعلومات الدولية:
WWW.betranslated.com/translation-schools.html. وكذلك الموقع
WWW.atant.org/certification.eligibility

الماضي ارتبطت بشكل ما بالأنظمة والتخصصات الأكاديمية المعرفية الأخرى، وصارت دراسة الترجمة وممارستها نظام معرفي متعدد التخصصات[17]، وفي ذات الوقت مستقل عن غيره من الفروع المعرفية، الأمر الذي أعطى زخم جديد لدراسة ممارسة الترجمة والحصول على شهادة عليا (ماجستير أو دكتوراه) في دراسات الترجمة، على حد سواء.

المراجع:

أسعد، سامية (1989) ترجمة النص الأدبي ، في مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع عشر/ العدد الرابع: يناير – فبراير – مارس ، ص 887

بكّار، يوسف حسين (2001) الترجمة الأدبية، إشكاليات ومزاليق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان

حزل، عبدالرحمن (2006) الترجميات العربية على سبيل التمهيد، مجلة ترجميات السنة الأولى، العدد الأول، فبراير 2006م.

الديداوي، محمد (1985/1984) "الترجمة إلى العربية" اللسان العربي – ع (25)، ص: 55–75.

عمارة، اسماعيل أحمد (2003) الاستشراق واللغة ، دار وائل للنشر، عمّان – الأردن.

كروم، أحمد (2013) "الترجمة والتأويل التداولي"، في 'عالم الفكر – دراسات في النقد' العدد 4– المجلد 41، يونيو 2013م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

محمد، ماهر عبد القادر (1987) حنين بن اسحاق– العصر الذهبي للترجمة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

مواعدة، محمد (1986) حركة الترجمة في تونس، وأبرز مظاهرها في الأدب، الدار العربية للكتاب، تونس – الجمهورية التونسية، .ص 368

مؤمن، أكرم (2004) فن الترجمة، للطلاب والمبتدئين ،دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ، جمهورية مصر العربية.

النملة، على بن ابراهيم (1992) مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، المملكة العربية السعودية[1]

17– المرجع السابق.

Baker, Mona (ed.) (1998) Encyclopedia of Translation Studies, Routledge, London. UK

Catford, J. K (1965/1980) A Linguistic Theory of Translation, London. Oxford University Press.

Crystal, David (1987) The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University Press. Uk.

Holmes, James S. (1972) The name and Nature of Translation Studies, in Venuti L. (ed.), (2000), The Translation Studies Reader, by. Routledge. Ne York and London.

Jakobson, Roman (1959) On Linguistic Aspects of Translation, in Venuti (ed) The Translation Studies Reader.

Munday, Jeremy (2001) Introducing Translation Studies, Routledge, London. UK.

Nida, Eujene (1964) Towards a Science of Translation, with special reference to principles and procedures involved in Bible Translation. Leiden: Brill

Snell-Hornby, Mary (1988) Translation Studies,; An Integrated Approach, Amesterdam and Philadelphia, John Benjamins.

Vermeer, Hans, J (1989) Skopos and Commission in Translational Action, in Venuti (ed) The Translation Studies Reader.